يصح القول الان ان اورشليم في وسط الارض وقد اكتُشف بعد ذلك عالم جديد اعني به اميركة ؟ . . .(١)

هذه خلاصة تلك المناظرة التي جرت بيني وبين الخواجا ف . س . وهي قد اسفرت عن عدولهِ عن مذهبهِ الايجابي الى التسليم بالمذهب السلبي والله الموفق الى السداد والهادي الى الصواب

نظر في محاسن حلب واثارها

للاب بولس جبور اليسوعي

لمَّا قيَّض الله لنا في تموُّز الماضي الرحلة الى حلب الشهباء لم يَعلق بوهمنا ان نلقى فيها اثرًا يُذكر وكنَّا قد قرأنا في تاريخ سوريَّة لجرجي افندي يني (ص ٣٠٥) ما حرفهُ: « لقد قرَّر كثيرون من الافرنج انَّ حلب ليست بمدينة ذات آثار تاريخية تستدعي الناس الى التقاطُر اليها للبحث في متعلقاتها وانَّها ليست بذات موقع ظريف وليس بها شيء ممَّا يفيد من جهة البناء القديم والاثار التاريخية . ولذلك قلما يرغبها السيَّاح » فكان هذا القول مبرِّدًا لهمَّتنا مضعِفًا لنشاطنا

ولكن ما كاد يستقرّ بنا المسير في ربوع هذه المدينة الشهيرة حتى وقفنا على شطط كاتب هذه الاسطر فوجدنا في الشهباء ما لم يَسنح في فكرنا ولم يبدُ في خلَدنا . وذلك أنَّنا سكنَّا مدَّة في مصر وشاهدنا عجائب عمرانها ثم دخلنا الشام فشُغفنا بمحاسن بنيانها غير انَّنا تأسَّفنا على قسم من رونقهما الشرقي وقد مسح كثيرًا من بهائهما العمران الاوربيّ . امَّا حلب فلقينا منها خريدةً عذراء لم تطمس محاسنها . انمّ التمدُّن الحديث اللهمَّ الَّا قليلًا فتراها كما وصفها السيَّاح الاقدمون في حسن وَضعها واتقان ترتيبها واتساع اسواقها الحافلة المسقَّفة بالخشب ونضارة بساتينها التي تولي النفس نشاطًا وسرورًا ولا يبعد ان يصحّ فيها قول ابن بطوطة « انَّها من المدن التي تصلح للخلافة »

Judææ, quæ erat in medio terræ *tunc habitatæ* ».

(١) طالع Surius في الموضع المذكور آنفًا

١

واوّل ما يشاهدهُ المسافر عند وروده الى هذه الحاضرة العُظمى أكمةٌ ضخمةٌ هي قلعتها الشهيرة تكتنفها من كلّ جهاتها ديارُ اهلها كأنها صخرةٌ في ثَبَج البحر مُعتزلة تحدق بها غمرات اليمّ

ومن أحبَّ ان يسرّح ابصارهُ بمناظر حلب الفتّانة فعليهِ ان يرقى كما فعلنا تلّةً في غربيّ المدينة تشرف على جميع انحائها موقعها فوق مشهدي الحَسَن والحُسين حيث مربط الدراوشة. فمن ثمَّ عاينّا حلب فاخذت بمجامع قلبنا بحسنها الرائق وجمالها الفائق. فعلى مقربة منّا كنّا نرى بسيطها الأفيح وبساتينها الغنّاء تصدح على افنان شجرها اصناف الطيور وترقرق بين رياضها مياهُ القويق. امّا المدينة فانها تمتدُّ وراء هذه الجنان البديعة الحُسن فتبدو للابصار وتتجلّى كالعذراء من الابكار. وفوق ما كنها تميس المنارات الرائعة الشكل المبنية بضروب الحجارات. وفي وسطها قلعتها المرتفعة كأنها سلطانة تتولّى حراستها وتبسط على اطراف البلدة كنف حمايتها. وبين شهبة ابنية المدينة وخضرة بساتينها مباينةٌ تزيد هذا المنظر الجميل رونقًا وبهاء. وتحفُّ بالمدينة من كلّ جهاتها رُبىً قليلة الارتفاع يضرب لونها الى الحمرة وهي لها بمثابة تاجٍ يزين مفرقها

ولعلَّ سائلًا يسأل ما نال القدماء بنوا مدينة حلب في صخن هذه البقعة حيث تشتدُّ عليها وَغرة الحرّ وتصعدها حمارّة القيظ. أجل انهُ كان أولى لحلب لو بُنيت فوق المشارف التي تحدق بساحتها غير انَّ تلك الاكام ماحلة لا ماء فيها. فتحتّم اختيار ذلك الغور لبنائها وبهِ قبيل المياه الغزيرة فضلًا عمَّا تحتويه البلدة من الابار العذبة المياه ولها ايضًا قناةٌ تأتيها بالمياه من حيلان على مسافة ثلاث ساعات شمالًا وليس أوار الحرّ بحلب مفرطًا ولو تصاعد فيها ميزان الحرارة الى ٤٠° وذلك لنشف هوائها. وقد أتاح الله لها في ابّان الصيف ريحًا غربية ترطّب هواءها في معظم ساعات النهار. ومجمل القول انَّ حلب طيبة السُكنى معتدلة الهواء صحيحة الاديم

هذا وللشهباء موقع تاهيك بهِ من مركز اثير رغمًا عن كونهِ عند حدود الريف وعلى جوانب الصحراء. فانَّ حلب باب ارمينية وما بين النهرين تجتمع فيها ارفاق هذين القطرين وخيراتهما العميمة. وفي شوارعها واسواقها تزدحم جموعٌ من اهل البلاد المجاورة بلباسهم الخاصّ وهيئاتهم المختلفة وعوائدهم الشتّى. وحلب تحدُّ شمالًا الانحاء التي بها

شاعت اللغة العربية . فاذا خرجت منها ويمّمت الشمال لم تعد تسمع سوى اللغة التركية

امّا ما يختصّ بالاديان فتجد في حلب ما خلا المسلمين واليهود عدداً غفيراً من كلّ الطوائف النصرانية كالموارنة والروم الملكيين والسريان والكلدان والارمن لا ينقصها سوى الاقباط . وحلب آخر التخوم التي اتصل اليها نفوذ ملوك القسطنطينية وأتباع المجمع الخلقيدوني من اهل الشام . فاذا سرت شرقاً وجدت اليعاقبة ثمّ النساطرة الذين انفصلوا عن القسطنطينية في القرن الرابع والخامس ونبذوا وحدة الايمان بعضاً بملوكها الّا انّ الله اختار لهُ بين أتباع اوطيخا قوماً ارشدهم الى سبيل الصواب في هذه القرون المتأخرة صار منهم طائفتان جليلتان هم السريان والكلدان المعتصمون بعُرْوة الايمان المستقيم

٢

قد اجمع الكتبة على انّ حلب مدينة عريقة في القدم . ولا يجهل القُرّاء ان التقاليد العربية تعزو بناء حلب لابراهيم فتذكر انّ الخليل احتلّ ديوعها بقطعانهِ عند خروجهِ من بلاد الكلدان فكان يحلب غنمهُ ويتصدّق بحليبها على الفقراء فيقول الفقراء : حلبَ ابراهيم . وقد خطّأ ياقوت الحموي هذا الرأي في معجم البلدان قال (٢ : ٣٠٤) : « وهذا فيهِ ظلمٌ لانّ ابراهيم (عم) واهل الشام في ايّامهِ لم يكونوا عَرَباً انما العربية في ولد ابنهِ اسماعيل وفي ولد قحطان » . وللعرب تقليد آخر رواهُ ياقوت لعلّهُ اقرب الى الصواب فينسبون بناء حلب الى العمالقة من ولد عيسو (تك ٣٦ : ١٢) ويزعمون ان عمليق ولد اولاداً كثيرين بنى اثنان منهم مدينتي حمص وحلب ودعواهما باسميهما . وقيل بل بناها العمالقة بعد رجوع بني اسرائيل الى ارض الميعاد فطردهم يشوع من عمّان ونواحيها فساروا الى جهات قِنّسرين وبنوا حلب وجعلوها حصناً لانفسهم واموالهم

وما لا سبيل لانكارهِ انّ حلب كانت في القرن الرابع عشر قبل المسيح مدينة عامرة تشهد بذلك كتابةٌ مصرية ترتقي الى زمن رعمسيس الثاني وُصف فيها سفر بعض المصريين الى شمالي سوريّة وجاء فيها مراراً ذكر « خلبو » اي حلب (١ . وورد

(١ راجع Chabas : *Voyage d'un Egyptien en Syrie...* p. 100 وقد وهم دليل بديكر (Bædeker, *trad. f.*, p. 403) اذ زعم انّ الكتابات المصريّة تذكر حلب في سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح

ايضاً في رقيم في هيكل رعمسيس المذكور ان هذا القرعون انتصر على امير حلب وكان اتى في ١٨٠٠٠ مقاتل لنصرة ملوك الحطي او الحثيين في واقعة قادش فقلبهُ رعمسيس ورماهُ في نهر العاصي فنجا منهُ بهمَّة جنودهِ. وصورتهُ على هذه البناية تمثلهُ معلقاً برجليهِ يتقيأ ما تجرَّعهُ من الماء.

ولم تخلُ الكتابات البابلية من ذكر حلب وهي تُدعى فيها باسم « حلبو » كما بيَّن ذلك العلاَّمة اوبير (Oppert). وزعم قوم انَّ بانيها نمرود اوَّل ملوك بابل

وما نراهُ الارجح في اصل مدينة حلب انَّ بُناتها الحثيون من سلالة حام بن نوح وكانوا شعباً قوياً تملكوا على سوريَّة الشمالية قبل فتوحات ملوك مصر من القرن السابع عشر الى القرن الرابع عشر قبل المسيح وقد ابقوا آثاراً جليلة من ملكهم في جهات حمص وحماة وحلب. وقد وُجد في تلك الجهات تماثيل ورسوم وكتابات كثيرة سُطِّرت بلغتهم التي لم يهتدِ العلماء حتى الآن الى حلّ رموزها ونظن انَّ اسماء هذه المدن نفسها مشتقة من هذه اللغة الحثية. وما يؤيد رأينا انَّ في قلاع المدن المذكورة تشابهاً عظيماً وكلها مبنية فوق تلال مركومة صناعياً وجوانبها مصفحة بصفائح الحجارة كما انَّ رسوم الكتابات الحثية فيها متشابهة تنبئ باصل واحد. وقد بقي في حلب من هذه الخطوط كتابة غايةٌ في القدم قد ذهب الدهر بقسمٍ منها فطمسهُ وهي الآن في حائط الجامع الشهير المعروف بجامع القيقان الذي يشرف على سورها القديم من جهة الغرب

ومن يعتبر قلعة حلب المار ذكرها يتحقق انها من البنايات العاديَّة تنطق بلسان حالها عن سمو مدارك بُناتها وسطوتهم واقتدارهم على الاعمال الشريفة يصدق فيها وصف ابن جُبير اذ قال: « وحلب قلعة شهيرة الامتناع. بائنة الارتفاع. تنزَّهت حصانةً ان تُرام او تُستطاع. منحوتة الارجاء موضوعة على نسبة اعتدالٍ واستواء. قد طاولت الأيام والاعوام. وشيَّمت الخواصَّ والعوام. . . وقلعة حلب تسنَّى الشهباء. وبداخلها جُبَّان ينبع منهما الماء. فلا تخاف الظماء. ويطيف بها سوران وعليها خندق عظيم ينبع منهُ الماء وسورُها متداني الابراج. وقد انتظمت بها العلالي العجيبة المفتَّحة الطيقان. وكلُّ برج فيها مسكون والطعام لا يتغيَّر بهذه القلعة على طول العهد. وبها مشهد يقصدهُ بعض الناس يقال ان الخليل عليهِ السلام كان يتعبَّد بهِ »

هذا ما كتبهُ فيها ابن جبير في اواخر القرن الثاني عشر الّا انّها اشتهرت بمناعتها وحرازتها قبل ذلك بقرون عديدة. وقد اشار الى ذلك بقولهِ « طاولت الأيام والاعوام ». والشائع ان باني قلعة حلب هو سلوقوس الاوّل الملقب بنيقاطور احد قوّاد الاسكندر الذي اخضع لسلطتهِ بعد وفاة ذي القرنين قسماً كبيراً من المشرق وملك على الشام من سنة ٣٠١ الى ٢٨١ قبل المسيح فجعل هذه القلعة حصناً حصيناً في وجه اعدائهِ. بيد اننا نظنُّها اقدم من سلوقوس عهداً وانما جدّد هذا الملك الشهير بناءها وزادها منعةً وتحصيناً. ولا زانا نشطُّ عن الحق اذا نسبنا عمارة القلعة للحثّيين كما ألمعنا الى ذلك آنفاً

وقد استولى الخرابُ على قلعة حلب مراراً من جرّاء الحروب والزلازل وكرور الأيام فعاد اصحابها الى توثيق بنائها وشدّوا أزرها. والقلعة كما تُرى اليوم انما هي من عهد الاسلام (١. وهيئتها على شكل اسطوانة اهليلجية يبلغ قطرُها عند الحضيض ٤٠٠ متر وفي علوها خمسين متراً. وحولها خندق واسع منقور في الصخر يفصلها عن الابنية المجاورة لها واذا مسّت الحاجة يُمكن غمر الخندق بالمياه. امّا جوانب التلّ الذي فوقهُ بُنيت القلعة فهي مفروشة بنحيت الحجارة والصفائح الضخمة. وفي اعلى الربوة سور كانهُ التاج يكلّل رأسها أُسند اليهِ عدّة بروج لسكنى الجند يرمون منها العدوّ باصناف القذائف والسهام والمراحي الحربية

ولا يُصعد الى قلعة حلب سوى من الطرف الواحد عند جَنوبها. ومدخلها عجيب البنيان مُتقن الصنعة يلجهُ الداخل بعد مرورهِ فوق جسر يسندهُ ستُّ سوار ضخمة مرتفعة. وهذا المدخل على جانب عظيم من المنعة والقوّة في وجههِ نقوش بديعة تزينهُ وعلى طولهِ كتابةٌ عربية تبهر النظر يُستفاد منها ان السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون امر بعمارة هذا المدخل بعد إهمالهِ واشرافهِ على الدثور وذلك سنة ٦٩٠ (١٢٩١ م). وللمدخل المذكور عدّة ابواب يُمكن إقفالها وعلى كلها النقوش والكتابات الجميلة. وحول سطح المدخل شُرُفات ومرامٍ لادوات الحرب تزيدهُ حسناً وجمالاً. وفي اعلاهُ شبّاك كبير مربّع مستطيل لهُ إطار مُحكم الصنع دقيق العمل يروق لهُ النظر يعدّهُ الداخل اجدر بقصرٍ منهُ بقلعةٍ. وهذا النقش البديع قد اعتادهُ اهل حلب فعُرفوا بهِ وشاع عنهم فتراهُ يزين ابنيةً عديدةً كالجوامع والخانات والقبور لاسيما المقابر التي

١) ومنذ فتح المسلمون حلب على يد ابي عبيدة قد جُدّد بناء القلعة ثلاث مرات

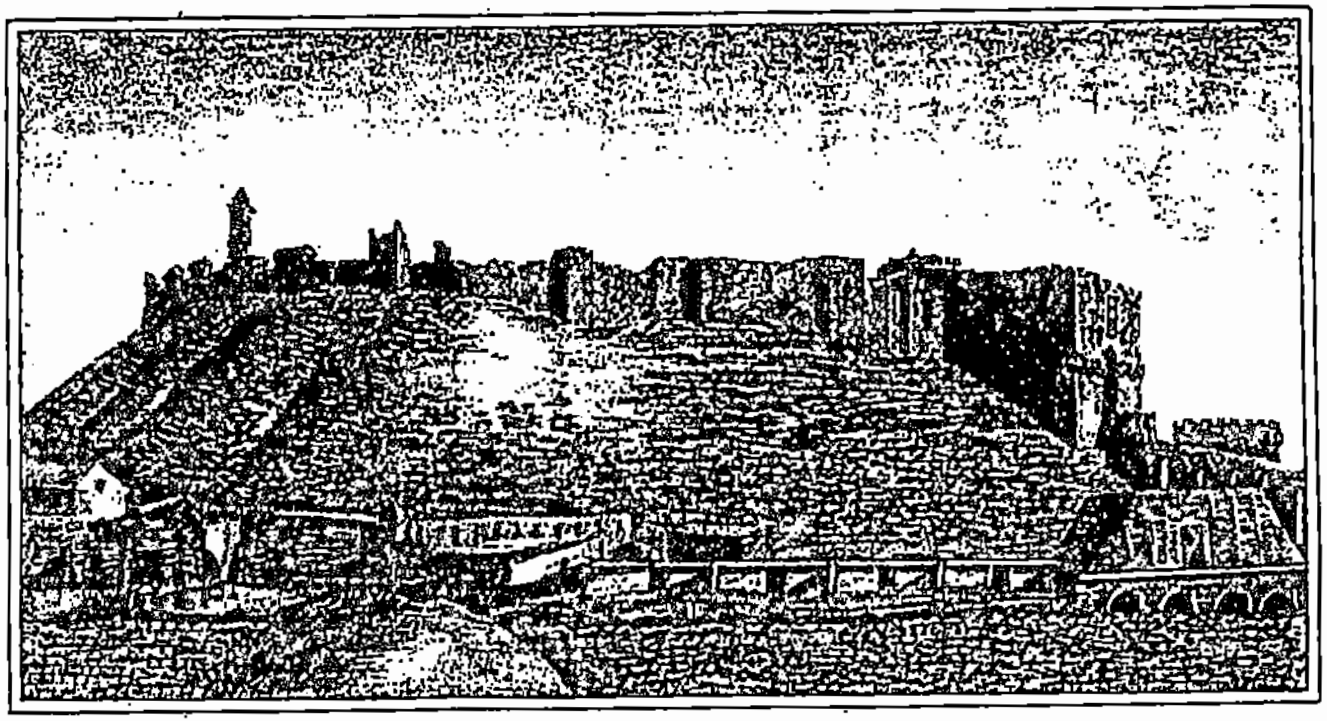

منظر لقلعة حلب عمومي

بجوار باب المقام وجامع الاطروش المتولي عليهِ الخراب وخان الصابون وخان الوزير. والشبابيك في هذه البنايات كلها مستطيلة في تربيعها والإطار المنعطف حولها كثير النقوش مع تساوي الخطوط فيها. وبين الاطار المذكور وتطاريف الشبّاك فُرْجةٌ تكون تارةً خلوًا من النقوش وتارةً موشّاة بتصاوير في غاية الاختلاف والحسن

واذا تجاوزتَ باب المدخل تصعد الى سفح القلعة ماراً بمَعْبر واسع كثير الزوايا المستقيمة ذي ابواب عديدة. وفي طرفي الباب الاوسط قد نُقش شبانان هائلان فوقهما كتابات جميلة للملك الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي حصّن القلعة وبنى على هذا المدخل برجين وجعل لهُ ثلاثة ابواب من حديد امّا الباب الاخير الداخلي فقد صُوّر على جانبيهِ اسدان عظيمان ناتيان

وليس سفح القلعة مناسباً في حسنهِ لهذا المدخل. فترى في صحنها ابنيةً قد اخنى عليها الدهر فدرست محاسنها. اللهمَّ الّا الشيء القليل منها كباب الجامع القديم وفيهِ انواع الوشي والنقوش. بيد انَّ الذي يكشف من ثمَّ على المدينة يجد لذلك منظراً بديعاً لهُ في النفس أثرٌ موقع وخصوصاً من علوّ المنارة التي في وسط القلعة. فلا شيء يحجب من رأسها النظر الى مسافة بعيدة (ستأتي البقيّة)

فن التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس اليان في كلّية القديس يوسف

١

انَّ التمثيل فنّ جليل القدر رفيع الشأن « من اعظم ما أنتجتهُ قوّة التعبير. فاق على جميع الفنون الشعريّة ومن ثمَّ على كل ما جادت بهِ قرائح البشر (١) ». فانهُ يُعيد لنا اخبار السلف بطريقة شائقة لا نظير لها. اذ يحاكيهم في طبائعهم وعوائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاةً بها يخيَّل لنا انَّهم نُشروا من مدافنهم وظهروا علينا بمظهر الاحياء على حالتهم الاصلية. كانهم لم يغيبوا من عالم الوجود. فهذا التخيـــل هو علّة شغفنا الشديد

١) هكذا وصفهُ شليغل (Schlegel) النقّاد الالمانيّ